الشيخ جمال الدين سيروان

حكم المرتد والساعي بالفساد والخوارج - 16

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد الأكرم وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار وعمن سار على دربهم في هذه الدار، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، آت اللهم نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، تعلم سرها ونجواها، نسألك اللهم رضاك لا تشغلنا بسواك فرحنا مولانا عند لقاك، اللهم إنا نسألك يا أرحم الراحمين أن تهدينا لأحسن الأخلاق والأقوال والأعمال، لا يهدينا لأحسنها إلا أنت، قِنا يا ربنا سيئها لا يقينا سيئها إلا أنت، اللهم إنا نسألك صحة في إيمان، وإيمانًا في حسن خلق، ونسألك اللهم نجاحًا يتبعه فلاح، ونسألك اللهم رحمة منك ومغفرة وفضلا، اللهم يا غفار الذنوب، يا ستار العيوب، يا قاضي الحاجات، يا مفرج الكربات، يا رب الأرض والسموات، يا من تنظر إلينا فترى مكاننا وتسمع كلامنا، ولا يخفى عليك شيء من حالنا، نسألك اللهم أن تبدل حالنا وحال المسلمين إلى أحسن حال، وأن تردنا وإياهم إلى خير مآل برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم يا أرحم الراحمين، يا غياث المستغيثين، يا رجاء السائلين، يا رجاء السائلين، يا رجاء السائلين، يا مجيب دعوة المضطرين، نسألك اللهم يا ربنا أن تنجد عبادك المظلومين، اللهم يا قاهر الظالمين، اللهم يا قاهر الظالمين، اللهم يا قاهر من الظالمين، اللهم يا جبار السماوات والأرض، اللهم يا مالك الملك، يا مالك الملك، يا من أمره بين الكاف والنون، يا من إذا قال للشيء كن فيكون، نسألك اللهم أن تكون على الظالمين، اللهم دمرهم تدميرا، اللهم دمرهم تدميرا، اللهم دمرهم تدميرا، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم أنجد المؤمنين من بأسهم، وأخرج المؤمنين من غيظهم بقدرتك يا رب العالمين، اللهم وإنا نسألك فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا لجميع المظلومين بقدرتك يا رب العالمين، انتقم اللهم ربنا لبيوتك، انتقم اللهم لكتابك، انتقم اللهم لبيوتك العامرة بالإيمان، اللهم عليك بمن يهدمها، اللهم عليك بمن يدنسها بقدرتك يا رب العالمين، اغفر اللهم لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، إنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير، وصلِّ وسلم على صفوة خلقك سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله أصحابه أجمعين.

وبعد:

أحبتي الكرام، مع سيدنا الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، مع منهجه الندي، مع قوله الطري، مع بحثه الثري، مع عطائه السخي، مع الحبيب المصطفى ﷺ، معه صلى الله وسلم وبارك عليه حبا، ومعه ﷺ تأسيا، ومعه ﷺ اصطباغا، نحن أمة تصطبغ بنبيها الحبيب ﷺ، هو أسوتها، هو قدوتها، هو سيدها، هو إمامها، هو رائدها، صلى الله وسلم وبارك عليك سيدي رسول الله، علمت أمتك الصبر في المواقف، علمت أمتك الرجولة في المواقف، علمت أمتك كيف يمكن أن تصوغ من نفسها في أشد المواقف صعوبة، وفي أشد الليالي حلكة، كيف تستطيع أن ترى بنور ضيائك هذه الشمس الساطعة التي من خلالها تدرك دربها، وتعرف طريقها، كذلك سننت يا رسول الله يا حبيبنا يا عظيمنا، يا من جعلك الله إمامًا لنا، يا من كنت القدوة التي يسطع نورها في قلوبنا فتضيء لنا ظلمات الأرض، فنجد شمسك الساطعة التي تنور لنا دربنا وتهدينا سبيلنا ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾. كذلكم هو الحبيب عليه الصلاة والسلام، إنما يأتينا بأحاديثه الشريفة، وأقواله المنيفة، يأتينا بهذا الهدي الإلهي الذي أنزله الله عليه، فصلى الله عليه وسلم، ربنا تعالى إنما أوحى إليه، فما كان ليقول من نفسه الشريفة قولًا يدّعيه، إنما كان وحيًا يوحيه الله تعالى إليه، فنبينا ﷺ أُمّي، أمّيته كانت عين معجزته، لأن الناس إن تعلموا من الناس، فإن رسول الله ﷺ تعلم من رب الناس ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. كذلكم كان علمه المُشرِق الذي لا يمكن أن يخفت على مدار الزمان، ولا على امتداد المكان، فعلمه ﷺ علم من لدن رب العالمين أوحى به إليه، فكان هذا العلم يمتد من خلال أحاديثه الشريفة، وحيًا إلى الناس لأجل أن يدركوا سبيلهم، وأن يعرفوا طريقهم، وما عرفت البشرية هديًا يمكن أن تركن إليه، أو أن تعرف فحواه، أو أن تدرك مثواه، إلا يوم جاء المصطفى عليه الصلاة والسلام فختم الله به الرسالات، فكانت رسالته في معجزته القائمة الدائمة، هي هذا القرآن الذي سمعتم بعض آياته، معجزة النبي ﷺ

لم تكن معجزة خانقة في عصر واحد، لم تكن معجزة من خوارق العادات التي جرت لبعض الأنبياء وجرت للنبي ﷺ، ولكن معجزته الآسرة العظمى، إنما هي هذا القرآن الكريم، الذي شاء الله تعالى أن يجعله المنهج المستديم إلى قيام الساعة، وأن يكون لسان أهل الجنة، فهو القرآن الذي جعله الله تعالى نبراسًا لكل عاقل، فالله تعالى هو الذي أنزله فكان قيامًا للناس، كما جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا﴾. كذلك كان هذا القرآن قيمًا مهيمنًا، إنما كان قائدًا، إنما كان فيه كل ما يكون للبشرية من حاجة، فالله سبحانه وتعالى هو الذي قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾. فهذا الكتاب مفتاح للعقول، هذا الكتاب هناء للنفوس، هذا الكتاب إنما جعله الله تعالى اطمئنانًا للذات الإنسانية، وإذا ما رأيتم التخبطات التي تحيط بالأرض، فاعلموا أنها إنما نأت عن هذا الكتاب وبعدت عنه.

لذلك نعود أدراجنا في الحلقة السادسة عشرة إلى نبينا الحبيب ﷺ، يأتينا بالقرآن الكريم يتلوه علينا من خلاله وحي أوحى الله به إليه، ومن خلال أحاديثه الشريفة ينثرها على أسماعنا، فهنا عندنا في الحلقة السادسة عشرة حكم المرتد والساعي بالفساد والخوارج، إذن عندنا ثلاثة عناوين لا بد أن نقف عند كل عنوان منها، وقفة المتأملين، ونظرة المتفحصين، وبحث الأناس العاقلين، الذين يحبون أن يستبينوا الحق من خلال الحق، ذلكم أن الحق هو القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾. كذلكم نستبين هذا الحق، كذلك نستبين الحق ممن فهم الحق، ممن هو رسول الحق، وهو رسول الله ﷺ، قال الله تعالى في هذه الآية التي يذكر الله سبحانه وتعالى فيها حكم المرتد، يقول الله تعالى في بدايتها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث؛ النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة" رواه الخمسة. عن عكرمة أن علي رضي الله عنه حرَّق قومًا ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: لو كنت أنا لقتلتهم؛ لقول رسول الله ﷺ: "من بدّل دينه فاقتلوه" ولم أحرّقهم؛ لقول رسول الله ﷺ: "لا تعذبوا بعذاب الله" فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه، فقال: صدق ابن عباس رضي الله عنهما. رواه الترمذي وأبو داوود والبخاري. عن أنس رضي الله عنه، قال: قدم على النبي ﷺ نفر من عُكْل، فأسلموا فاجتووا المدينة، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا، فصحّوا فارتدوا، فقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث في آثارهم فأتي بهم فقطع، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، ثم لم يحسمهم حتى ماتوا، زاد في رواية: ثم أُلقوا في الحرة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا. رواه الخمسة إلا الترمذي. عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة" رواه الشيخان والترمذي.

إذن أحاديث إنما أجملت المعاني التي عنها تحدثنا، وعن العناوين التي فيها بيّنا، إذ أن العناوين التي ذكرت إنما ذكرت على معان ثلاثة، الأول أن المرتد وما حكمه، والثاني الساعي بالفساد في الأرض، والثالث الخوارج، لا بد أن نقف عند كل فقرة من هذه الفقر، فهذه الفقر إنما تعني لنا، وخاصةً في حياة المسلمين اليوم، نجد كثيرًا من القضايا التي تمس ما نتحدث به في مثل هذه القضية، لا بد أن نلبس القضية ثوبها العلمي ثم أن نعكسها وأن نسقطها على واقعنا القائم في حياتنا العملية، ذلكم أن الإسلام ليس دندنات تقال كما تقال في الكنائس، حيث إنهم لا يفقهون ما يقال، حتى إن الدندنات لا تقال بلغة القوم إنما تقال بلغة أخرى، فإنما يهزون رؤوسهم دون أن يفهموا ما يقال، لكنكم إنما عليكم أن تفهموا كل حرف من كتاب الله، وأن تدركوا كل قولًا من أقوال رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ إنما قال لنا في حديثه الصحيح: "إنما شفاء العِيّ السؤال" "إنما شفاء العَيّ السؤال" فإما على المصدر أو على اسم الفاعل، فإما أن يكون شفاء الجهل السؤال، وإما أن يكون شفاء الجاهل السؤال ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. فديننا دين علم، دين سؤال، دين معرفة، دين بحث، دين تحرٍ، دين تفحص، هكذا هو الإسلام دين بعث أربابه وأصحابه دعا من ينتمي إليه إلى ألا يكون عقله جامدًا راكدًا، بل أن يكون عقله متوفزًا قائمًا، دائمًا يكون للسؤال والاستفسار والبحث والتقصي، كذلكم كان أصحاب النبي صلى الله وسلم وبارك عليه، إذا ما حال حول أذهانهم شيء من قضية لم يستطيعوا هضمها

سألوا حبيبهم الأعظم عليه الصلاة والسلام، وكان النبي صلى الله وسلم وبارك عليه بالتالي إنما يستفز أذهانهم ليسألهم حتى يعطيهم الحكم الصحيح في الأمر، أما مر صلى الله وسلم وبارك عليه على شاة ماتت وانتفخ بطنها، فقال لهم: "ما شأن هذه الشاة على أهلها؟:" سؤال، سؤال يبدو أنه سطحي جدًا، لكنّ السؤال إنما له عمق عظيم أراد صلى الله وسلم وبارك عليه أن يدعو الأذهان استفزازًا، وأن يبعث الأذهان نشاطًا، وأن يقول لها عليكِ أن تسألي وتقارني بين الأحداث، ما شأن هذه على أهلها؟ يا رسول الله من هوانها على أهلها أنهم ألقوها، فإذا به ﷺ يقول لهم: "والذي بعثني بالحق لا الدنيا أهون من هذه الشاة على أهلها" الدنيا كلها هذه إذا كانت للمتعة، فإنها أهون عند الله من هذه الشاة على أهلها، وأما إذا كانت درجة من درجات السعي إلى الآخرة، فهي التي يمكن أن يسجل الله لصاحبها يوم القيامة جنة عرضها السماوات والأرض، إذن الدنيا إنما جعلها الله ابتلاءً واختبارًا لأولئك الذين قد تكرست في أنفسهم معايير الحق وموازين الفهم، فاستطاعوا استغلال الموقف، فاتخذوا من الدنيا درجة للوصول إلى الآخرة، وأما الذين أرادوا أن يراوحوا مكانهم، وأن يعيشوا متعتهم، فقد قال القرآن عنهم: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾، ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾. فالأنعام خلقها الله للناس منفعة، وأما هؤلاء فإنما كانوا ضررًا على أنفسهم وضررًا على غيرهم، فأنظروا إلى هؤلاء الطغاة، وانظروا إلى هؤلاء الجبابرة الذين يفتكون بالخلق، الذين يستبيحون الدماء، الذين يستبيحون الأعراض، الذين يقهقهون في المساجد، يوم يريدون أن يدخلوها عابثين ليجعلوا التدخين، وليسجدوا لغير الله في المساجد، وليقهقهوا عبثًا هكذا يفعل أهل الدين، نريد أن نهزأ بالدين وأهله، نريد أن نسجد لغير الله، نريد أن ندوس المصاحف، نريد أن نفعل ذلك كله دون أن يكون علينا حساب أو رقابة أو عقاب، وإذا أرادوا أن يقولوا من باب العبث، فيقولوا ذلك الكلام إنه تصرف شخصي، تصرف شخصي، وأما الأمن القومي المزعوم، فهذا أمن ينبغي أن تسال من أجله الدماء، وأما من أجل رب العالمين فلا ذنب، فالله يتوب على من تاب، أصعب أخلاق، بئست الأخلاق أخلاقهم، والشيم شيمهم، هؤلاء هم الذين إنما قال الله عنهم: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

إذن أعود أدراجي لأجل أن نأخذ العنوان الأول، العنوان الأول هو الذي ذكرنا آيته وهو قضية الردة، لكنَّ القرآن مهد لها تمهيدًا، فقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. هنا أقف وإياكم وقفات متأنية في لغة العرب، حيث إنكم تقرأون ذلك وتقولون كيف جاءت كلمة قتال هنا مجرورة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. ما معنى ذلك؟ هذه بلاغة العرب التي أنزلها الله في القرآن الكريم، فإذا بهذا القرآن قد شده أبصارهم وحير ألبابهم، فوقفوا أمام القرآن الكريم من لفظ الأُمّي محمد عليه الصلاة والسلام الذي نطق به عن ربه، فإذا بهم وجدوا بأنه الكلام كلامهم من حيث الكلمات، ولكنه كلام معجز لا يستطيعون أن ينسجوا له مثيلا، وقد تحداهم القرآن فوقفوا أمام ذلك عاجزين هم في عصرهم، وسيبقى العجز قائمًا إلى يوم القيامة، ربنا تعالى قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. هذا يسميه أهل العربية بدل اشتمال، بدل اشتمال، أي البدل الذي يحيط بما قبله، فيعني الأصل أن السؤال لم يكن عن الشهر الحرام، إنما السؤال عن القتال في الشهر الحرام، ولكنه إنما قدّم الشهر الحرام لمقصده الذي فيه السؤال، هم يسألون عن القتال لا مجرد القتال، أنه هل يجوز أن نقاتل من يقاتلنا؟ ليس هذا هو السؤال، السؤال عن القتال من يقاتلنا في الشهر الحرام، فلما كان الشهر الحرام مبتغاهم في السؤال فقدمه، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. ولكنَّ الأصل لو اختصرنا المسافة فقلنا: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام، لاحظتم؟ فإذن ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. فهو بدل اشتمال من الشهر الحرام، إذن يسألونك عن القتال في الشهر الحرام جائز أم غير جائز؟ جائزٌ، جائز أن يُقتل هؤلاء المجرمون، جائز أن يُقتل من يستبيح دماء الناس، جائز من يستبيح أعراض الناس أن يُقتل، وأن يُصلب، وأن يستباح في كل شيء فيه، هو الذي استباح كل شيء جائز؟ نعم جائز، الشهر الحرام له حرمة عند الله ودم المسلم له حرمة أكبر، الكعبة لها حرمة ولكن حرمة المسلم أعظم، فهم قد استباحوا كل شيء، لذلك الله تعالى يقول﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾. قل قتال فيه، قل قتال فيه، لأجل أن نحمي أعراض الناس وأموال الناس، ودماء الناس، وحرية الناس، وكرامة الناس، جاء الإسلام لحرية، جاء الإسلام للكرامة، جاء الإسلام لأجل أن يقول لكل إنسان أنت سيد نفسك، لا سيادة لأحد عليك أبدا، وأنت والآخر ممن وُلّيَ أمرك فوليته أنت ومن كان في المجتمع، إنما أنتم جميعًا تحت راية واحدة وهي راية رب العالمين، وُلّيت عليكم ولست بخيركم، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. هكذا جاء الإسلام فأعطى هذه الحرية والكرامة، أية حرية، وأي حقوق إنسان، وأي مجلس أمن، أي مجلس أمن هذا؟ هذا مجلس الغدر والخداع، أي مجلس هذا الذي لا يمكن أن يهتز له ضمير أمام ما يجري في هذا العالم من ظلم ومن ظلمات، أي مجلس أمن هذا الذي لا يستطيع أن يكون له ذلك الشعور، ولكن أي شعور عند هؤلاء الذين ماتت فيهم مشاعرهم؟ أنت تنادي ميتًا لا حراك فيه، فقولوا لا حَراك يقولوا لا الحِراك الآن لا قولوا حَراك

بالفتح، المهم فلذلك الله تعالى لما قال: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. أي كفرٌ بالله، وكفرٌ بالمسجد الحرام، كل ذلك قد فعلوه أم لم يفعلوه؟ والله فعلوا ذلك كله، كفروا بالله، وبالمسجد الحرام، وبكتاب الله، وبرسول الله، وبعباد الله، وبأعراض المسلمين، هذا فيه قتال؟ والله قتال فيه نعم ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾. إخراج أهله منه أكبر عند الله، كون هؤلاء القرشيين أخرجوا النبي ﷺ من مكة، الله تعالى قال إن هذا الفعل الشنيع الفظيع هو أكبر عند الله من ذلك القتال في الشهر الحرام، فكيف الذين خُرِّجوا من ديارهم وأصبحوا الآن عالة على الدول، لا يجدون لقمة يأكلونها، ولا مأوى يؤويهم، ولا يجدون طبًا يطببهم، وأصبحوا عالة على المجتمعات، وقد كانوا رؤوسًا في مجتمعهم، إذن الله تعالى يقول لنا في القرآن، هكذا اقرأوا القرآن، هذا القرآن آيات القرآن تنزل علينا الآن، كأنها تنزل الآن علينا، ربنا يقول: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾. وقد قالوا عن الفتنة بأن الذين يطالبون بحقهم هم أهل الفتنة، سبحان الله كيف قلبوا المقاييس، يا شباب أنا قلت هذا الكلام لتفكروا في القرآن وتتأملوه تأملًا عظيمًا، فكروا في القرآن، لما يقول لكم بعض الذين لاثوا على رؤوسهم عمائم، وأطالوا في وجوههم شعرًا، حتى أوصلوه إلى نصف صدورهم، وكانوا أحذية لأولئك المجرمين، وما استفاقت منهم ضمائر، ولا كان عندهم مشاعر، ولا تحرك عندهم إحساس، رأوا الدماء تسال، والأعراض تنتهك، فلم يكن عندهم إلا أن يلبّوا نداء المجرمين، وأن يدافعوا عن الظالمين، والله تعالى يقول هنا في القرآن الكريم: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾. أيش الفتنة أكبر من القتل؟ يعني إن الأصل، قلت لكم الفتنة في الأصل إنما هي عملية كيميائية، بمعنى أن نقوم بعملية صهر الذهب، بأن نخرج منه الزائف من الصحيح، نخرج هذه الفلزة الموجودة في المعدن معدن الذهب، فنخرجه ظاهرًا صحيحًا بعيدًا عما يكون فيه من الشوائب، هذه الفتنة شبهها القرآن الكريم بمن فُتن من المؤمنين، كزنيرة، وخباب، وسمية، وياسر، وعمار، هؤلاء فُتنوا كما فُتن الذهب، عُذِّبوا كما كانت النار على الذهب، هذه الفتنة لهؤلاء، تعذيب هؤلاء، هو أكبر من القتال في مكة، وأكبر من حرمة مكة، فهمتم أيش الفتنة بقى؟ الفتنة إيه اللي قالوا لنا عنها الآن؟ الفتنة الذين يقولون والله نريد كرامتنا، نريد حريتنا، قالوا هذه فتنة، لا إله إلا الله، وأولئك الذين يعذِّبون ويقتلون ويمكرون، هؤلاء أصحاب الحق لا يجوز أن تخرج عليهم ولو جلدوا ظهرك، فعليك أن تطيعهم بقدر ما يضربونك، قل نعم أنا تحت لوائكم، هكذا أمرني الرسول أن أكون ذليلًا بين أيديكم، هل جاء رسول الله ﷺ لأجل أن يكون الناس أرقاء يا ناس؟ الله أكبر الله أكبر الله أكبر، كيف يمكن أن يطوّعوا النصوص لغير مرادها؟ إذن لما يقول ربنا تعالى هنا في سياق الآيات، أنتم ماشيين معي يا شباب؟ أنا أعيد الآيات حتى أنتم تكونون واعين لما يقال، لما ربنا عز وجل بيقول يسألونك الصحابة سألوا، عندهم أذهان يا رسول الله هاد شهر حرام وبلد حرام وكعبة ولها قداسة ولها شأن، ولا يمكن لأحد في الكعبة لو لقي قاتل أخيه أن يقربه، هكذا كان عند العرب، والإسلام يحافظ على الحرمات، والكعبة هي أشرف بلاد الله تعالى على هذه الأرض بالإطلاق، والكعبة وبيت الله تعالى الحرام ينبغي أن تسال من أجله الدماء للحفاظ عليه، لكن لا بد إلا أن نعرف الحرمات بكل معانيها، وشتى صيغها وألوانها، ومختلف أطيافها، ينبغي أن نعلم أن الشهر الحرام له قداسة زمانا، وأن البيت الحرام له قداسة مكانا، وأن الله تعالى قد جعل قداسة وكرامة المسلم أعظم من قداسة الشهر الحرام، وأعظم من قداسة المكان الحرام، المسلم له كرامة عند الله، المسلم له شأن عند الله، المسلم والإنسان بعموم إذا لم تبلغه الرسالة له عند الله قداسة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. وقد ذكرت ذلك في دروس ماضيات، إذن لما نقول قوله سبحانه وتعالى، يقول ربنا تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. لأنه قد استفزت أذهانهم إذ يجدون بأنه يباح القتال في مكة؟ لا يجوز هكذا الأصل، لكن لما كان هؤلاء وقد استباحوا دماء المسلمين، خرّجوهم من ديارهم، راح القرآن يسوق لنا، وساق لكم، فقال لكم: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾. والفتنة التي كانت قبل إخراج أهله، أشد من إيه؟ أشد من القتل، أشد من القتل يا ناس، وين سلطوا علينا الفتنة؟ علماء الفتنة كيف فسروا الفتنة؟ أسأل الله تعالى أن يحمينا من هؤلاء، باليمن راحوا قال العلماء يقولوا هذا التظاهر حرام، لا حول ولا قوة إلا بالله، أي علماء هؤلاء؟ أي علماء هؤلاء؟ ناس يخرجون إنما يمتطون الأرض ويلتحفون السماء، وقد رأيتموهم، رأيتم فقرهم الذي كان لا يتناغم إطلاقًا مع سمو عقلهم، والله ما كنت لأتصور أن في اليمن هناك رجالًا، وأبطالًا، وشبابًا، وشابات، بشموخ الإيمان، وعظمة اليقين، وحرية الإنسان، كيف يتقدم كل شاب بثوبه المرقع، ولسانه الساطع بالنور، ليقول الحق وهو صابر، إنما يكون على الأرض نائما، والسماء من فوقه، وإنما يعاني الجوع، ومع ذلك إنما يكون في قلبه السطوع، كذلكم رأينا، رأينا عجبًا، رأينا عجبًا ما كان لأحد أن يتوقع أن هؤلاء الذين سيبوا الخسف والعذاب على مدار عقود من الزمان، أن يُخرِج الله من أصلاب هؤلاء الرجال مثل هؤلاء الذين رُبّوا تربية، وأُعِدّوا اعدادا على غير ما يتوقع الإنسان، ما كان يتوقع إلا أن يخرج جيل ضائع مائع، ليس له رأي لا فكر، ولا علم، ولا

ثقافة، ولا معرفة، وإذا بالحق سبحانه وتعالى ينبت لكم كما عرفنا معجزته دائمًا وهو مالك الملك، أنه يُنبت الضد من الضد، فيُخرج النهار من الليل، ويُخرج الماء من الصخر، الله يُنبت الضد من الضد، ويُخرج الحياة من الموت ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. فالله تعالى القدرة قدرته، والعظمة عظمته، والتجلي تجليه، لذلك الله تعالى يوم يبين لنا في القرآن الآيات التي أراد أن يقدم من خلالها قضية الردة عن هذا الدين، قدم لنا أولئك الذين يريدون أن يفتئتوا على المسلمين وأن يزوروا لهم حقائق دينهم، سواء كانوا من المسلمين أو من غير المسلمين، يعني هؤلاء الذين يزورون مساكين، يعني عجبًا لمن يريد أن يبيع دينه بدنيا غيره، سبحان الله لا إله إلا الله، يعني يبيع دينه لدنيا غيره، لا إله إلا الله شيء عجيب جدًا، هؤلاء الذين يصفقون، رأيت أحدهم اليوم وهو اليوم يمجد النصارى يمجد اليهود، لا إله إلا الله شيء عجيب جدًا عجيب، عجيب أن يبيع الإنسان دينه بعرض من الدنيا قليل، يعني قد يعجب الإنسان مما يبيع دينه لدنيا يستفيد منها كثيرًا، أما أن يكون أجيرًا خادمًا، أن يكون خانعًا ذليلًا، أن يكون بين أيدي هؤلاء الذين ينظرون إليه نظرة الحقارة، والله يذهب هؤلاء الذين ترونهم ينتبجون وينتفخون، إنما يقفون أمام ضباط الأمن وهم يرتجفون، ويُكَلَّمون بكلام لا يمكن أن يتحمله رجل في الشارع إطلاقًا، إنما هم يهزون رؤوسهم، لا تنظروا إلى هذه العمائم يعني الكبرى وأن لها يعني شأنًا، لا لا لا إنما هناك إنما تتساقط، تتساقط عند أقدام أولئك، لأنهم قد باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، وباعوا دينهم لدنيا غيرهم وليس لدنياهم، يعطونهم من الدنيا فتاتًا وهم يأخذون كل شيء، ويبيعون دينهم بأعراض المسلمين، ويبيعون دينهم بأموال المسلمين، ويبيعون دينهم بدماء المسلمين، أما رأيتم الدماء التي تسال؟ أما رأيتم الأعراض التي تذبح؟ رأيتم ذلك أم لم تروه؟ سمعتم أم لم تسمعوا؟ كل ذلك الله تعالى لما سألوا الصحابة رضي الله عنهم عن قضية الشعائر والسرائر، هنا جاءت الشعائر والسرائر، نعظم الشعائر لأن تعظيمها من تقوى القلوب ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. ولكن الشعائر ينبغي أن تكون مترابطة مع السرائر، فبقدر ما نعظم شعائر الله، من شعائر الله في الأرض حرية الإنسان، وهذه الشعائر هي شعائر السرائر، شعائر القلوب، شعائر العقول، لأن هذه الشعائر التي جعلها الله تعالى إن لم يكن فيها أناس أحرار، إن لم يكن فيها أناس مؤمنون، من الذي يحافظ على هذه الشعائر؟ إذن الشعائر كرامتها بكرامة من يحافظ عليها، بل إن الذي يحافظ عليها جعل الله له كرامة أجلّ وأعظم ، ولذلك جعل الله رسوله الأعظم ﷺ أكرم خلقه، فرسول الله ﷺ هو أكرم من صفوة خلق الله تعالى من الملائكة الكرام، لماذا؟ لأن الرسول ﷺ يملك الحرية التي حباه الله إياها، وكلفه الله تعالى بأن ينجد المجتمعات بالوحي الكريم الذي ينزَّل عليهم، لذلك لا بد لنا أن ندرك هذه الآيات التي يذكرها الله تعالى لنا، لما يسأل الصحابة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾. إذن الذين يريدون أن يقولوا إن هؤلاء الذين يبحثون عن حريتهم إنما أرادوا الفتنة، وأرادوا أن تسال الدماء، وخلطوا الأوراق، وأفسدوا الأذواق، وإنما نسبوا إلى أهل الحق الباطل، ونسبوا إلى أهل الباطل الحق، هؤلاء لم يقرأوا القرآن وربكم، بل قرأوه، لكن لم يقرؤوه إلا لأنفسهم، لم يقرؤوه ابتغاء وجه ربهم، وإن الذين يريدون أن يقرأوا القرآن لأنفسهم إنما يريدون أن ينتقوا من القرآن انتقائات كما ينتقي بنو إسرائيل، وكما جعلوا التوراة قراطيس، جعلوا التوراة قراطيس، ولما كانوا يستطيعون أن يتحذلقوا في الأقوال، ويستطيعون أن يبكوا دموعًا من التوبة، هذه دموع تماسيح، ما هذه الدموع التي تدعو الناس إلى أن يتوبوا إلى الله تعالى وأنت والغٌ في أعظم ذنب في دماء المسلمين؟ كيف لإنسان يدعو الناس إلى التوبة وهو يصرّ، أول ما ينبغي في التوبة ما هو؟ ما هو؟ أنتم كلكم بتعرفوا، إقلاع عن الذنب، تمام؟ وثانيًا الندم، ثالثًا عقد العزم على عدم العودة، هذا مصرّ على الذنب، وما هو ندمان على الذنب، وعاقد العزم على الاستمرار، وعم يبكي ويقول لهم والله بمجلسه تعوا نتوب إلى الله يا ناس، لكن خلينا مع الظالم المجرم يقتل ويسفك ويذبح، أية توبة هذه؟ أي والله ما بيتحرك في قلبك ذرة من شعور وأنت تراه وهو يذرف الدموع دموع تماسيح هي، لذلك ماذا قال القائل من العرب، ليست النائحة كالثكلى، ليست النائحة كالثكلى، هي النائحة التي تنوح تَبكي ولا تُبكي، ولكن الثكلى التي لا تَبكي تُبكي، إن نظرة إلى أم وهي تودع ابنها الشهيد هي التي تُبكي، ليس هؤلاء الذين يتباكون، هؤلاء لا يمكن على الإطلاق أن يكون لدموعهم التي تذرف من عيونهم ظلمًا وبهتانًا وزيفًا، لا يمكن أن يكون لهذه الدموع أثر في قلوبنا وربكم، لذلك لما القرآن يقول لنا هذا الكلام بين يدي قضية الردة، وأكرر الآيات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾، مكة الشهر الحرام ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، ثم قال هناك من جهز نفسه لقتالكم على مدار الزمان والمكان، فاعلموا أنكم أمة مبتلاة في دينكم، وأن هناك من يرصدكم في خيركم، وأن من يريد أن يتابعكم في إسلامكم، وأن من يريد ألا يبقى لكم هويتكم ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾. وهذا فعل مضارع، ماذا يفيد؟ استمرار،

مخططات خبيثة ماكرة، ودهاء خسيس من كل الذين يتعاملون، سواء كانوا من بني جلدتنا وهم أخس علينا من أولئك الذين يتربصون الدوائر بنا، لأنّا نعلم بأن أولئك المتربصين أعداء، ولكنَّ هؤلاء المتملقين المنافقين الذين يسرون بين عروقنا وفي دمائنا ولأبناء عمومتنا، ومن مشايخنا الذين يسمون مشايخنا وليسوا بمشايخنا، هؤلاء هم المنافقون الذين حذرنا القرآن من أن نكون غائبين عنهم، ولقد نشر القرآن أخبار هؤلاء المنافقين، بدايةً من البقرة وانتهاءً بسورة المنافقون، فقد نثر القرآن في ثناياه هذا التحذير الدائم القائم على هؤلاء، لأجل ألا تغيب أعيننا عنهم، وألا تكون آذاننا بعيدة عن تحليل كلماتهم، هؤلاء إنما يدسون السم في الدسم، فلذلك لا بد أن تكون انتباهاتنا دقيقة، وأن يكون حذرنا قائمًا، فلذلك هؤلاء ربنا سبحانه وتعالى قال عنهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾. ما هي الغاية؟ حتى الغائية ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾. إن استطاعوا، لكن لن يستطيعوا، وأنتم رأيتم أن هناك في العهد القريب كان هناك مخططان في هذا الكون، مخطط علماني ليبرالي أمريكي أوروبي، ومخطط كان سوفيتي في ستار حديدي، مخطط إلحادي لا إله في الكون والكون مادة، قالها أولئك، وقالها آخرون بقول آخر، فقالوا بأنهم يعبدون بشرًا من دون الله سبحانه وتعالى، أولئك كان لهم عقل علمي كما يدّعون، بأنهم قالوا الكون مادة، وراحوا يبحثون في هذا الكون، ولكن هؤلاء كانوا أُجَراء فكان عقلهم عقلًا سقيمًا، فإذا بهم يعبدون بشرًا من دون الله، ويأتون بالمؤمن ليقولوا له وهم يجعلونه تحت أقدامهم وهو مؤمن، ولكن إنما أرادوا أن يفعلوا ما فعله أبو جهل، ما فعله أمية بن خلف، ما فعلته أم أنمار، ما فعله أولئك المجرمون الطغاة، ما فعله فرعون قتّل وذبّح، أمَا ذبّح سحرته الذين آمنوا؟ ذبّحهم، وقال هؤلاء أهل المؤامرة، وفي هناك مؤامرة كونية علي، أنا فرعون في علي مؤامرة كونية عالية، يا رجل هذا الرجل موسى عليه السلام نبي وتكلم الحق، لا لا لا لأصلّبنّكم، لأصلّبنّكم، أنا في مؤامرة، ألا تسمعون بأنه في مؤامرات؟ يا سبحان الله، إذا قال واحد والله يا أخي أنا مريض لا مؤامرة لا تقل أنا مريض، أنا والله متألم، لا تقل أنت متألم هي مؤامرة من الخارج، شيء غريب جدًا عقول سقيمة سخيفة، نعم، المهم القرآن الكريم بقول لنا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. الحبط شيء جميل جدًا أن نفهم القرآن لما يشبّه، الحبط إنما هو أن يمتلئ البطن من الطعام، من طعام معين قال أهل اللغة فيه أقوالًا، ولكن منهم من قال إن الحبط نبات إذا أكلت منه الدواب واستعذبته فإذا بها تصاب بداء تموت منه، هذا الحبط، ومنهم من قال لا الحبط شيء آخر، وهو ما كان من خضر يخرج فتستعذبه الحيوانات فتستكثر منه، كما يستكثر الإنسان من الدنيا فيسرف فيها ويبذّر، ماشيين معي أنتم تمام؟ وسأقرأ لكم حديثًا يبين هذا المعنى الذي تقوله الآية لأجل أن نعكس حديث الرسول ﷺ على الآية، يقول فيما رواه الإمام مسلم النبي صلى الله وسلم وبارك عليه: "أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة الدنيا" أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة الدنيا، قالوا وما زهرة الدنيا؟ لاحظتم الصحابة لما كان النبي عليه الصلاة والسلام يخاطبهم ويقول لهم ويستفز عقولهم، ماذا كانوا يفعلون؟ كانوا على المبادرة يسألون، قال وما زهرة الدنيا هذه التي تخاف علينا منها؟ "أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة الدنيا، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: بركات الأرض" فكان الجواب إشكالًا والجواب يحتاج إلى سؤال جديد، لما نقول والله أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الدنيا، ما زهرة الدنيا؟ بركات الأرض، والإنسان يلتمس البركات وأنا أخاف عليكم من البركات؟ ولا أخاف عليكم من اللفحات؟ لا، أخاف عليكم من اللفحات وليس من البركات، البركات والنفحات هذا شيء مطلوب، ولكن اللفحات والحسرات أمر مبتعد عنه، فقالوا يا رسول الله: وهل يأتي الخير بالشر؟ هذه بركات، فهل يمكن أن تخاف علينا من البركات يأتي الخير بالشر؟ لا يأتي الخير إلا بالخير، فقال ﷺ: "لا يأتي الخير إلا بالخير" نعم، لاحظوا، سأضرب لكم مثلًا "إن كل ما أنبت الربيع يقتل أو يُلِمّ، إلا آكلة الخضر فإنها تأكل، حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس، ثم اجترّت وبالت وثلطت" طبعًا آن ذا ستسمعون أنتم ألفاظًا وكأنكم تعيشون باللغة التركية نعم "ثم عادت فأكلت، إن هذا المال حلوةٌ خَضِرة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه، فنِعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع" إذن هي بركات الأرض التي الله عز وجل أنبتها لنا، واللي النبي ﷺ سماها زهرة الدنيا، شبهها النبي ﷺ بما يعيشون فيه، فقال دابة، إذا بالربيع أنبت لهذه الدواب هذه الحشائش الخضراء التي إنما يسيل لعاب هذه الأنعام لها، فإذا بهذه الإبل امتدت أعناقها الطويلة بأفواهها الواسعة، لأجل أن تأخذ من هذه الأعشاب، منها ما هو سام يقتلها، ومنها ما هو طيّب يقتلها، أما السام فعرفناه بأنه شر فكان ينبغي أن تجنَّبه، وأما الطيب فكان ينبغي أن تراعيه، فلو أكلت منه ما يكفيها دون أن تمتلئ خاصرتاها حتى لا تستطيع التنفس فكان خيرًا لها، لكن قال النبي ﷺ شبيه يعني في التشبيه يحمل أكثر من معنى، فيحمل التشبيه بأن هذه الدواب هي أفقه من بعض الناس، لأن هذه الدواب تأكل، فإذا امتلأت خاصرتاها تذهب فتتمدد في الشمس، في يعني لطيفة من اللطائف، قال في واحد كان يمر حول

الكعبة، فيقول: اللهم ميتة كميتة أبي خارجة، اللهم ميتة كميتة أبي خارجة، وهو يبكي بكاءً شديدًا، فلحق به رجل حتى فرغ من طوافه، قال له: يا هذا بالله دلني على أبي خارجة ماذا كان يفعل حتى أفعل فعله لأتقرب إلى الله؟ قال ويحك لا تستطيع، قال دلني كيف مات؟ قال أبو خارجة خرج يومًا فكان جائعًا فذهب إلى السوق، فجاء فرأى لحمًا مشويًا فأكل حتى امتلأ، ثم ذهب إلى الحلوى فأكل حتى امتلأ، ثم ذهب إلى الشمس فنام، فما زال يشخر في نومه حتى أتاه الموت، فمات شبعانًا دفئانا ريانا، أي فيعني لا حول ولا قوة إلا بالله، فهذه ميتة ما هي ميته مطلوبة والله، ففي دواب الحاصل ففي دواب أفقه من بعض الناس، تأكل وعندها ثلط، ما هو الثلط؟ الثلط هو الرَّجيع، فعندنا هذه الجمال والنوق تجتر عندها اجترار، أما معدة الإنسان ما عندها اجترار يا عمي، هذا إذا كان طلع بالقولون بيقتله ما في عنده، فلذلك هذه، قال: إلا آكلة الخضر النبي ﷺ، آكلة الخضر التي تستطيع أن تأكل الخضر غير الحبط الضار، لا يكون أمر زهرة الدنيا ضارًا لها، أما هو ضار في من؟ في إنسان أخذ من الدنيا فأسرب فيها دون أن يكون له وعي فيما يأخذه، لذلك النبي ﷺ قال: "والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُفتَح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم" هذا تفسير الحديث، لاحظتم بقى؟ لكن هو النبي ﷺ شبّه لهم الأمر بما يعلمونه، وهذا ما نعلمه بأن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن في سورة محمد ﷺ قال: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. كما تأكل الأنعام من غير وعي، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام هو قال هنا في الحديث قال عليه الصلاة والسلام، قال: "إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة من الله له، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع" هذا فيما رواه الإمام مسلم. إذن لما بقول القرآن الكريم هنا: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾. إذن أعمالهم كانت حبطا، والحبط إنما هو الدمار والهلاك، فهمنا بقى شو الحبط هنا يا جماعة، تمامًا؟ فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، لأنهم في الدنيا لا يعيشون حياة السعادة، سيعيشون حياة اللذاذة، واللذاذة قدر مشترك بين الإنسان والحيوان، والسعادة للإنسان، اللذاذة يأكل طعامًا فيستلذه، والحيوان يأكل طعامه فيستلذه، لكن السعادة إنما هو انعكاس في الذات الإنسانية، تصاحب الإنسان فيجد نفسه سعيدًا ولو كان جائعًا، ويجد نفسه تعيسًا ولو كان شبعانًا، فالسعادة قضية تنفصل تمامًا عن اللذاذة، قد تصطحبها وقد لا تصطحبها، فقد يعيش الإنسان حياة السعادة دون لذاذة، وقد يعيشها مع اللذاذة، لذلك النبي ﷺ قال: "وفي بضع أحدكم صدقة" لذاذة، لكن عاش سعادة اللذاذة بأنه جعلها ابتغاء وجه الله، ومن لم يكن عنده اقتدار على اللذاذة عاش السعادة ابتغاء وجه الله، فكلاهما عاش السعادة، وُجدت اللذاذة أم لم توجد، لأن السعادة هي سعادة، كما يقول لكم علماء النفس الآن، أن السعادة من أين؟ من الداخل مو هيك؟ مو من الخارج، لو أنه وضع جميع المساحيق، وكبر الشفاه، وشد الوجه، وكبرت الأرداف، وراحت وفعلت وقامت وحطت، بعد ذلك ما في سعادة، تعيش حياتها بؤسها وتعاستها، لكن السعادة الداخلية التي نراها في جدّاتنا، في وجوههن المشرقة، في إيمانهن، في بسماتهن، في صلاتهن، في ذكرهن، هنا تجد السعادة، هذه السعادة، لذلك ربنا سبحانه وتعالى إنما قال بأن هؤلاء حبطت أعمالهم في الدنيا وكذلك في الآخرة، يعني قبل الآخرة الدنيا ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. طيب إذن ما هي الردة؟ ما أحكامها؟ ما متعلقاتها؟ الساعة لسعت، والوقت مضى، ولا أحب أن أزيد عليكم ما أنتم فيه، ولكن أقول أن القرآن الكريم إنما ساق عقولنا لأجل أن تعي الحقائق، وأن تفهم الدقائق، وأن تعيش الرقائق، وأن تكون في الحقائق، هكذا كان القرآن، كان القرآن مدرستنا، والنبي ﷺ إمامنا، وأصحاب الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه قدوتنا، كذلك عشنا حياتنا وسنعيشها إن شاء الله إلى أن يرثنا الله تعالى من هذه الأرض، شبابًا مؤمنين، رجالًا طاهرين، شيوخًا صالحين، حتى نبلغ إن شاء الله يوم الدين والله عنا راض، نسأل الله تعالى أن يلهمنا ذكره، أن يلهمنا شكره، أن يلهمنا الصبر، أن يلهمنا الشكر، أن يلهمنا الاستمرار، أن يلهمنا طريق التقوى إنه السميع القريب المجيب، فيا شباب صبرًا صبرا، يا رجال ثباتًا ثباتًا، يا أمة محمد صلى الله وسلم وبارك عليه، إنما جاء الله بكِ ليعلي قدرك ويرفع شأنك فاسأل الله تعالى أن يثبتنا بقوله الثابت، اسأل الله تعالى أن يشد عزائمنا، ويقوي هممنا، وينور أبصارنا وبصائرنا إنه السميع القريب المجيب.

وإلى آيات من أخينا الحبيب الشيخ القارئ الفقيه الخطيب، الشيخ عثمان كامل، يعني أنا أعرف الشيخ عثمان منذ ثلاث وأربعين سنة، يوم كان فتى مثلكم، الشيخ عثمان بارك الله فيه يعني من سنة الثمانية والستين ميلادية، كشفنا الآن يعني الأسرار يلا يا سيدي.

الشيخ عثمان كامل: نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمة الإيمان، وأن يجزي عنا علمائنا خير الجزاء، وأن يبارك لنا في حياة شيخنا ومربينا جزاه الله تعالى خيرا، والله منذ فترة وأنا لا أحب الكلام، يعني ذكرني هذا الكلام بما كنا نسمعه على المنبر وكنا أطفالًا صغارًا لا يتجاوز عُمر الواحد منا ثلاثة عشرة عامًا، فكان شيخنا جزاه الله خيرًا يصعد المنبر، وعقولنا وأذهاننا وأعيننا لا تصدق ما ترى، ولقد أوتي جزاه الله خيرًا وأذكر هذه الكلمات، أوتي الشيخ جزاه الله خيرًا كأن قاموس اللغة العربية صيغ بفنه صياغةً، فكنا نأخذ الكلمات من فمه وكأنها كلمات أتى بها القاموس بل هي أعظم عندنا من القاموس، وجزاه الله خيرًا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم نفعه، وإن تكلمنا وإن قرأنا فنحن بل أنا حسنة من حسناته جزاه الله تعالى خيرا، وفي صفيحته وهو الذي ربانا وعلمنا جزاه الله تعالى خيرا، والله حسنة من حسنات الشيخ.